Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى الرغم من نجاح السياب في هذه القصائد إلاّ أننا نستطيع أن نقول إن ثلاثيته هي أقلها نجاحاً ، ولو أن الاتفاق في الموضوع أتاح الفرصة لكثير من عناصر الصور السيتولية أن تظهر محتشدة فيها . وهذا السبب نفسه هو الذي حجب عن السياب الفرصة في الاستقلال وإن حاول إدخال الكثير من صوره التراثية الخاصة . ولكنه كان ـ كما يقول الدكتور إحسان عباس[1] بحق ـ يؤلف بقوة الاحتذاء ، أكثر مما كان يبدع بأصالته الذاتية . هذا العيب الذي نرى أنه حاول التخلص منه في قافلة الضياع ، والمسيح بعد الصلب بتطويع صور سيتول لموضوعه ، لا بتطويع الموضوع لصور سيتول أو الترجمة المباشرة عنها في هذه الثلاثية .

تبدأ مرثية الآلهة بتقرير حقيقة أن كل ما على الأرض فان ، إلاّ ـ المستضعفون ، والمصانع والأغنياء . . ويبقى الأغنياء خصوصاً كالأميبى الخالدة :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... ويبقى اليتامى بعدنا والمصانع
ويبقى « كرب» الجالب الكرب كالصدى ... يغص المنادي بالردى وهو راجع
كأن الأميبى توأم وهو توأم ... لها فهو في منجى من الموت قابع

وهو هنا يحاول استجلاب قطاع من المعارف يمتد من الاقتصاد السياسي إلى علم الأحياء حيث يقرر أنه مهما اختلفت المراحل التطورية في تاريخ الإنسان فسوف يكون هناك استغلال بمعنى : فقراء ـ يتامى ، وأغنياء ـ أصحاب مصانع يمثلهم « كرب » الألماني ، من طواغيت الحضارة المادية في الغرب ، فطالما ظلت هناك ملكية خاصة لوسائل الانتاج الضخمة فسيظل « كرب » خالد ، كالأميبى ذات الخلية الواحدة .

وليس « كرب » مجرد اسم طاغ ، ذا دلالة على أسرة تمتلك المصانع أو تدمغ به البضائع التي تنتجها هذه المصانع فقط ، ولكنه اسم يتغذى على غيره من الأسماء ، فتفنى فيه أسماء عمال مصانعه وتفنى به أسماء الأمم التي تحصدها منتجاته من آلات الدمار حتى ليتمنى الإنسان أن لو كان آلة في مصانعه ، خيراً له من أن يكون اسماً بشرياً يتغذى عليه اسم « كرب » اللعين :

وما كان إلاّ اسما «كرب» ابن مثله ... به يدمغ اثنان: الورى، والبضائع
ولكنه اسم بالأسامي يغتذي ... تهجّاه زفار اللظى.. والمدافع
تمنيت أني آلةٌ.. لا يصيبها ... كلالٌ ولا وَقْتٌ بها مَرَّ ضائع
لها من دماء الناس قوت.. وخلفها ... من المال ـ عن أن يَنْفَذَ القوتُ مانع

---

١ ـ المرجع السابق ص ٢٦٣ .